تطور النص الشعري في الساحة الأدبية التشادية

د. أحمد أبو الفتح عثمان

محاضر بكلية الآداب والإعلام والفنون– جامعة الملك فيصل بتشاد

ملخص البحث:

الشعر العربي أينما كان فهو امتداد طبيعي لساحته الأم، يتجدد بتجدده وينمو بنموه، علاوة على أن تشاد دولة عربية اللسان والثقافة، وجلّ شعرائها إما درسوا في الدول العربية أو نهلوا من منبع عربي، فمن الطبيعي أن ينشأ هذا التأثير الأدبي.

أما التجربة فهي وليدة البيئة، لأن الشاعر ابن بيئته وما ينتجه صدى لواقعها ويتناول قضاياها ومشكلاتها، فكتبت القصائد ألواناً وأشكالاً متمايزة، تارة خليلية وأخرى تمزج بينها وبين الحداثة في الاعتماد على الذائقة الموسيقية، والتحرر من القافية والميل إلى القصيدة النثرية أحياناً، كما تتسم قصائدهم بجماليات تجلت من خلال خصائص فنية عالية، تصبغ حروف النص، متولدة من رحم المعاناة والألم والنكبات التي تتلاطم أمواجها في واقع قارتنا السمراء العظيمة، والبيئة العربية التشادية مثل باقي البيئات العربية في النشأة والتطور، حيث بدأت تنمو القصيدة في ألسنة الشيوخ والعلماء فيشكل نظماً بدائي يزيلون به رسائلهم في المراسلات وفي مقدمة كتبهم، فكانت تفتقر إلى الكثير من المقومات الأدبية والخصائص الفنية، ويغلب عليها طابع النظم للعلوم، لكنها دون أدنى شك بهذا الضعف الفني، لقد أسست لنهوض الشعر حيث بدأت تتطور مع تطور المراحل الأدبية التي مر بها الأدب العربي التشادي عبر مراحله المختلفة، كمر حلة البداية المنقطعة ومرحلة البداية المتصلة ومرحلة اليقظة الأولى ومرحلة الركود التي حدثت مع مجزرة المستعمر للعلماء، ثم اليقظة الثانية إلى مرحلة الانفتاح الثقافي والعلمي الذي شهدتها الساحة الأدبية وهي المرحلة الأخيرة التي وصلت فيها القصيدة العربية مرحلة التطور والنضوج، فارتفع منسوب قيمتها الجمالية وخصائصها الفنية وأصبح الشاعر التشادي يشارك في المسابقات الدولية وحازت القصيدة مراتب عليا ووجدت قبولاً من النقاد والمتذوقين في العالم العربي، وكشفت للعالم عروبة تشاد وأصالة اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، وظهر جيلها الجديد الذي يحمل رايتها عالية خفاقة

(ISSN: 2536 - 9555)

واكتست الساحة الأدبية بقرائح المبدعين والموهوبين من أبناء العربية فعكفوا على نسج حروفها المفعمة بالعاطفة، عبّروا فيها عن مشاعرهم وأحاسيسهم، وعكسوا من خلالها عن صدى واقعهم المتلاطم بكل تفاصيله، وبحول الله نتناول في هذه الورقة مسيرة النص الشعري عبر هذه المراحل مع تتبع حركة تطوره.

The development of poetic text in the Chadian literary scene

Dr. Ahmat Abou Al-Fath Ousman
King Faisal University of Chad

Research Summary:

Arabic poetry, wherever it is, is a natural extension of its motherland. It is renewed with its renewal and grows with its growth. In addition, Chad is an Arab country in language and culture, and most of its poets either studied in Arab countries or drew from an Arab source, so it is natural for this literary influence to arise.

As for the experience, it is the result of the environment, because the poet is the son of his environment and what he produces echoes its reality and deals with its issues and problems. The poems were written in distinct colours and forms, at times Khalilian and at times mixing them with modernity in relying on musical taste, freedom from rhyme, and a tendency towards prose poetry at times their poems are also characterized by aesthetics; It was manifested through high artistic characteristics, colouring the letters of the text, born from the womb of suffering, pain, and calamities whose waves crash in the reality of our great black continent, and the Chadian Arab environment, like the rest of the Arab environments in origin and development, where the poem began to grow in the tongues of sheikhs and scholars, forming a primitive system with which they remove their letters in correspondence and in the introduction to their books lacked many literary components and artistic characteristics, and were dominated by the nature of systems for sciences. However, without the slightest doubt about this artistic weakness, they laid the foundation for the rise of poetry, as it began to develop with the

development of the literary stages that Chadian Arabic literature passed through different stages, such as the stage of the interrupted beginning, the stage of continuous beginning, the first stage of awakening, the stage of stagnation that occurred with the colonizer's massacre of scholars, then the second awakening to the stage of cultural and scientific openness that the literary arena witnessed, which is the last stage in which the Arabic poem reached the stage of development and maturity, so the level of its aesthetic value and characteristics increased. The Chadian poet began to participate in international competitions, and the poem won high ranks and was accepted by critics and connoisseurs in the Arab world. It revealed to the world the Arabism of Chad and the originality of the Arabic language and Islamic culture is new generation appeared, carrying its banner high and flying, and the literary arena was filled with the talents of creative and talented Arabs, so they worked hard through the weaving of its letters full of emotion, they expressed their feelings and sensations, and through them, they reflected the echo of their turbulent reality in all its details. With God's help, we will discuss in this paper the journey of the poetic text through these stages while tracking the movement of its development.

تطور النص الشعري في الساحة الأدبية التشادية:

تشاد دولة عربية اللسان، وتختلف عن غيرها من الدول الأفريقية السمراء، لأن اللغة العربية فيها رسمية كفَلها الدستور التشادي في مادته السابعة، وتعد اللغة العربية في تشاد منذ القدم وحتى الآن هي اللسان الرسمي للمجتمع التشادي، ولغة التفاهم المتفق عليها والتي يعرفها الكل ولغة المعاملات التجارية ولغة الشارع والاتصال الرسمي والشعبي، وسائدة في القرى والبوادي، إضافة إلى كونها لغة العلم في المؤسسات التعليمة العربية الحكومية والخاصة. ولا تكاد تجد تشادياً في كل بقاع تشاد إلا ويعرف العربية ويتكلم بها رغم التعدد اللغوي، إلا أنها هي اللسان السائد.

وهذا دليل واضح على أن هذه الجذور الأصيلة تنبت بالذُهن، تعيش فيها القصيدة العربية ويكثر فيها الشعراء، وهي دلالة واضحة على خصوبة الشعر ونمو القريحة

(ISSN: 2536 - 9555)

الشاعرية، والمتتبع للتاريخ الأدبي لتشاد يدرك ذلك جلياً، إضافة إلى الجيل الجديد الذي أثرى الساحة فكل يوم يولد ديوان شعر، ورغم كل هذا النتاج إلا أنه لا توجد منصة أدبية تجمع الشعر والشعراء، ومنبراً يتسامرون فيه مع تجاربهم الشعرية، وإنما هي أمسيات متواضعة تقيمها الجمعيات المدنية وتارة في حرم الجامعات وقاعات الدراسة وحلقات الذكر والمناسبات الدينية، والجلسات التفاكرية التي تصطحب معها الجلسات الشعرية. مع أن البيئة التشادية بيئة متذوقة وجمهور متفاعل، وظهر في الساحة الأدبية شعراء كُثر ولهم أعمال أدبية كثيرة أبرزهم الشاعر عيسى عبدالله، له أعمال كثيرة منها (ديوان حذو ما قالت حذام، وديوان باقة من لباقة). والشاعر أحمد عبدالرحمن سماعين له أعمال كثيرة منها (ديوان أتنفس لهباً، وديوان همسات عاشق). والشاعر عبدالواحد حسن السنوسي (ديوان طيور البطريق، وغنائيات قيثارة). والشاعر محمد عمر الفال (ديوان أصداء النفس). والشاعر حسب الله مهدي فضله (ديوان نبضات أمتي). وعباس محمد عبدالواحد ديوان (الملامح). وهناك العديد من الدواوين التي تزخر بها مكتبتنا الأدبية، وهي نتيجة طبيعية لهذه اللغة الأصيلة بمجتمعها العربي الذي تجذرت فيه اللغة العربية على مدى عشرة قرون.

المراحل الأدبية للشعر التشادي:

مرحلة البداية المنقطعة:

جاءت هذه التسمية من أول باحث خاض في حوض الشعر العربي في تشاد الباحث عبد الله حمدنا الله وذلك لأن هذه الفترة هي البدايات الأولى للشعر التشادي، فلم يصل إلينا إلا القليل من شعرها وكان بينها وبين المرحلة السابقة انقطاع زمني فما عثر لها من نتاج غير شعر أبي إسحاق الكانمي ٥٥٠ – ٦٠٨هـ الذي يعرف بأنه أقدم شاعر في إفريقيا جنوب الصحراء، وهومن علماء كانم وشعرائها، عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري[١].

[١] من محاضرات أ.د. عبد الله حمدنا الله في الأدب التشادي للفرقة الرابعة، جامعة أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٠– ٢٠٠١م.

ويذكر الباحثون سبب سفره إلى المغرب أنه ذهب في سفارة إلى بلاد مراكش وهي سفارة رسمية تتعلق بأحوال البلاد[٢]. **ويقول عنه الصفدي:** (الكانمي الأسود إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق الكانمي... كانت العجمة في لسانه غير أنه جيد النظم وكان يحفظ الجمل في النحو، ولم يعرف من أرضه شاعر سواه)[٣].

وشعره شعر جيد، وقد انقطع في بلاد الموحدين إلى ملكها ووزيره سميه إبراهيم بن يعقوب أخ الأمير وقد مدحه بقوله:

أزال حجابـــــه عنـــــي وعينـــــي ** تـراه مـن المهابـة فـي حجـاب
وقربنـــــي تفضـــــله ولكـــــن ** بعـدت مهابـة عنـد اقتـراب

وقوله مفتخراً بلونه الأسمر ونسبه

إنـــي وإن ألبســـتني العجـــم حلتهـــا ** فقـد نمـاني إلـى ذكوانهـا مضـر

كما تزوج الكانمي بمغربية بيضاء البشرة ويبدوا أنها أظهرت له جفوة وتعالت عليه فقال مدافعاً عن لونه ومتوداً إليها:

غيـري علـيكن يـا زهـراء يصـطبر ** لأن صـبري علـى ذاك الهـوى
لـــوني بلونـــك مـــزدان إذا اجتمعـــا ** كمـا يـزين سـواد المقلـة الحـور
فـإن شـككت فقيسـي قـيس تجربـة ** ففي اختيارك ما ينسى به الخبر
فـلا يسـؤك مـن الأغمـاد حالكهـا ** إن كان داخلها الصمصامة الذكر

والملاحظ من شعر إبراهيم الكانمي شاعر مقتدر وشعره يرتقي لمستوى عالٍ من الدرجة الفنية مقارنة ببيئة عصره والواقع الذي يعيش فيه في المحيط المغاربي،

المرحلة الثانية وهي مرحلة البداية المتصلة:

وهذه المرحلة تشكل البيئة الأدبية التي احتضنت بدايات الشعر العربي التشادي على يد العلماء كما تعد الفترة الأولى للشعر العربي في تشاد هي اللبنة الأساسية التي انبنت عليها باقي الفترات رغم ضعف المستوى الشعري في هذه الفترات سواءً في مضمون

---

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسها

[٣] صـلاح الـدين خليـل بـن أبيـك الصـفدي، الـوافي بالوفيـات، دار النشـر، فزانزشـتاير، ط٢، ١٩٨٢م، ج٦، ص ١٧٠

(ISSN: 2536 - 9555)

النص أو شكله باستثناء الشاعر إبراهيم الكانمي في البداية الأولى والشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في اليقظة الثانية، فالمتتبع لهذه المراحل يقف على هشاشة النصوص وبساطتها وهي أقرب إلى النظم، وهذا يتناسب طبعاً مع الفترة التي يعيشونها لأن العلماء هم الشعراء فصاروا ينظمون العلوم في قصائد وساعدهم في ذلك البيئة الصوفية، فكل المجتمع في تلك الفترة صوفي تجاني وهنا نشير إلى حب المتصوفة للنبي صلى الله عليه وسلم فحياتهم مليئة بالمناسبات الدينية التي تزين بالمدائح النبوية فلا تكاد تجد شخصاً إلا ويحفظ الكثير من المدائح، وهذا الحفظ والمران المتكرر في قراءة قصائد المديح، أكسبهم كتابة شعر المديح فكتبوا الكثير من القصائد بجانب نظم العلوم، وظهرت المرثيات كثيراً في كتاباتهم فكانوا يتأثرون بموت شيوخهم وموت أقربائهم فينظمونه شعرا، كما نلحظه في مرثية والد الشيخ يعقوب بهذه الأبيات[٤]:

ألا يـــا قـــوم إن الصـــبر مـــر ** ولكـــن أهلـــه ربحـــوا تجـــارا
بكـــت عينـــي وحـــق لهـــا بكاهـــا ** لفقـــدي ســـيدي علـــم الحيـــارى
إذا مـــا جئتـــه تلقـــاه يتلـــوا ** كتـــاب الله لـــيلاً أو نهـــارا
أرخ لوفـــاة والـــده مـــا يـــدل علـــى ** الزمن الذي عاش فيه حيث قال
بـــبج مـــات مـــن أخـــرى جمـــاد ** بليـــل عروبـــة نعـــم البشـــارى
وأمـــا العـــام فاعرفـــه برمـــز ** بتـــاريخ يعـــرى بـــه عشـــارى
وهـــذا الرمـــز أربعـــة وألـــف ** مـــع المـــأتين والســـبعين صـــارا

فيؤرخ ليوم الوفاة بالحروف الأبجدية حيث إن الياء تعادل ١٠ والجيم ٣ معنى ذلك أن والده توفى في ١٣جمادي الآخر عام ١٢٧٤هـ.

فرغم إن القصيدة يظهر فيها الجرس الموسيقي مفاعلتن مفاعلتن فعولن (الوافر) إلا أنها ضعيفة البنية الدلالية باهتة تخلوا من الصور البديعة والإيحاءات الجمالية، لكنها تعبر عن واقعها مثلها مثل القصائد الأخرى كقصيدة الشاعر الشيخ محمد الأمين الكانمي بعنوان نصيحة الحكام، فهي عبارة عن نظم للأحكام الفقهية المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزنا والقتل والسرقة وغيرها وما يترتب عليها من الأحوال الشرعية، يقول الأمين في هذه المنظومة.

[٤] مذكرة الأستاذ الدكتور عبد الله حمدنا الله لطلاب الفرقة الرابعة مرجع سبق ذكره.

باســـم الإلـــه ابتـــدئ النظامـــا ** ومنـــه أرجـــو العـــون والتمامـــا
الحمـــــد لله الشـــــديد الحـــــول ** ثـــم صـــلاته علـــى الرســـول
وبعـــد فـــإني قاصـــد بنظمـــي ** تعليـــة الحكـــام أهـــل الفهـــم
منبهـــا لهـــم علـــي أمـــور ** قـــد خالفـــت مـــذاهب الجمهـــور
مكـــانهم وهـــي خـــلاف الصـــوب ** لـــدي جميـــع العلمـــاء بالكتـــب
مـــن ذاك إيقـــاع الطـــلاق جبـــرا ** إن زوجـــة دعـــت إليـــه نكـــرا
مـــن غيـــر أضـــرار ولا مـــن عـــدم ** نفقـــــه لكســـــوة ومطعـــــم
بـــل تـــدعي كراهـــة منهـــا فقـــط ** فيحكمـــون طوعهـــا وذا غلـــط
إذا الطـــــلاق بالنشـــــوز بـــــاب ** بينـــــه الحـــــديث والكتـــــاب

فهذه المنظومة من الرجز وهكذا في كثير من المنظومات التي اتسمت بها النصوص الأولى لبدايات الشعر العربي التشادي في مراحله المتقدمة وهي تكاد تكون خالية من السمات الفنية للقصيدة العربية من (خيال، وعاطفة، بنية فنية وصورية) مع ضعف في أسلوبها وركاكة في ألفاظها بغض النظر عن الموسيقا التي اختفت تماماً مما جعل القصيدة تصبح معقدة ثقيلة على الأذن لخلوها من الإيقاعات والنغمات وجمال القافية وتنوعها، وكثرة الإغواءات.

ورغم هذا الضعف الذي أثقل كاهل القصيدة التشادية القديمة إلا أن هناك بعض النماذج لبعض الشعراء فيها بصيص من التجربة الشعرية وحاول غيرهم لكن قصرت كل محاولاتهم في إيراد بعض التشبيهات المفردة التي لا تزيد كثيراً في جماليات القصيدة، وهي أيضاً رسمت بصورة معتمة تحتاج إلى إضاءة، مما تلاشت في ثنايا الأبيات دون طعم أو رائحة أو بريق أو لمعان فالشعراء المحدثون أثروا الصورة الشعرية بالخيال والمعاني المبتكرة، ولم تقف الصورة عندهم على التشبيهات والاستعارات شأن الشعراء القدامى.

المرحلة الثالثة: مرحلة النشأة والتطور

تأتي هذه المرحلة بعد انقطاع طويل مع المرحلة الثانية نتيجة لهجرة العلماء والشعراء وانشغال المجتمع بالحملات الاستعمارية ومحاربة المستعمر والشعراء في الصفوف الأولى بسيفهم وشعرهم، لكن بعامل القوة هيمن المستعمر على الوضع وفرض

(ISSN: 2536 - 9555)

لغته الفرنسية وثقافته الغربية فلذلك نلحظ أثر هذا الصراع الدائر في مخيلة هذه النخبة من الشعراء الذين يمثلون هذه المرحلة، وبدأت حياة جديدة للشعر ظهرت فيها ألوان الحداثة، وبرز في هذه الساحة شعراء تفتحت قريحتهم في وقت امتلأت فيه الساحة الأدبية التشادية بالوعي الثقافي والأدبي، حيث دأب الشعراء على الاطلاع على كتب النقد والعكوف على نماذج من الشعر العربي الحديث الذي كثرت فيه الاتجاهات والمذاهب بمختلف المدارس الأدبية التي ظهرت أمثال المدرسة الكلاسيكية بقيادة محمود سامي البارودي، والمدرسة الرومانسية، ومدرسة الديوان، وأصبحت الحياة الأدبية يسودها الصراع بين القديم والمحافظ والجديد، فهذه الثورة الأدبية نمت قريحة الشاعر التشادي وغرست في ثقافته كماً هائلاً من العلوم والمعارف، فسلك جل الشعراء التشاديون المحدثون منوال الحداثة والتجديد، واكتست قصائدهم بجماليات وفنيات وخصائص الحداثة ما زادها بريقاً ولمعاناً، وسنورد لبعض من النماذج التي تمثل هذه الفترة فنبدأ بالشاعر عيسى عبدالله[٥] وهو شاعر ومفكر وأديب من الشعراء الذين أثروا المكتبة بدواوين شعر عرف بنضاله المستمر ضد المستعمر وكان من الرجال الذين أفنوا حياتهم من أجل فجر الحرية أحد مؤسسي ثورة فرولينا التي أسست من أجل الدفاع عن الوطن والإرث العربي والإسلامي، كتب كثيراً عن الوطن والغربة والدفاع عن اللغة العربية وعن الطبيعة وأفضل ما كتب عن الطبيعة يقول:

أشـــهد مصـــفى رقيـــق يســـيل ** أشـــهد مصـــفى رقيـــق يســـيل
أم الريـــق ريـــق التـــي لـــم تنـــول ** أم الريـــق ريـــق التـــي لـــم تنـــول
ألا مـــا حـــلا لـــيس هـــذا ولا ** ألا مـــا حـــلا لـــيس هـــذا ولا
شـــذى كـــالخزامى لطيـــف ** شـــذى كـــالخزامى لطيـــف

[٥] عيسى عبد الله من مواليد١٩٤٨م لم يحدد مكان ميلاده فمنهم من نسبه إلى قرية شكوين التشادية، وآخرون نسبوه لي ام رواية السودانية ولم نعثر على مستند من الشاعر يثبت تحديد مكان ولادته، لكنه شاعر تشادي وأول من أسس النادي الشعبي التشادي الثقافي، له ديوانين حذ ما قالت خدام، وباقة من لباقة، شاعر نشط في الأوساط التشادية توفي رحمه الله يوم ٢٠١٤/٠٥/١٤م بقرية ام روابة بالسودان.

وريـــف وريـــف ونـــور طريـــف ** وريـــف وريـــف ونـــور طريـــف
وقنـــدول عـــيش طـــري تنـــادى ** وقنـــدول عـــيش طـــري تنـــادى

ويقول أيضاً واصفاً الحياة في قرى وبوادي تشاد في قصيدة جميلة بعنوان لوادي البطحاء:

تحت رجلي والبدر فوقي ضحوك ** ثـروة لـم يفطـم إليهـا الملـوك
بيـت مـال لكنـه مـن رمـال ** إن رمـل البطحـاء نعـم النسـيك
بـين أيـدينا قرعـة مـن حليـب ** إذا تسـالينا فـي الليـالي فريـك
ثـم يملـى الصـنوان منصـاص ** لحـم تحـت جمـر لاظ وديـك وديـك
يـا لسـحر المـرأى إذا الشـمس ** طلت ليس أبهى من ذاك إلا الدلوك

والشاعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل يلجأ مثله إلى الطبيعة في قصيدة بعنوان بشاي:

بشـاي أعشـقها وأعشـق الفضـلا ** أهـل المكـارم لا أرضـى بهـم بـدلا
إنـي تـذكرتهم فـي لوعـة لفحـت منـي ** الشـرايين والأهـداب والوصـلا
عشـق الـدنى ملـل قلبـي يـدين بهـا ** وحـب بشـاي ديـن أبطـل الملـلا
عشـقت حجرتنـا والسـقف مـن عشـر ** لكـن سـعادتنا قـد زاحمـت زحـلا
وأعشـق النـاس حبـاً فـي بسـاطتهم ** قـد أكرمـوا الحـظ لكـن حظهـم بخـلا

والشاعر محمد عمر الفال يتغزل في مهده مدينة أم حجر:

أغـاني المجـد يرسـلها فـؤادي ** إلـى شـتى المـدائن مـن بـلادي
فمـن تلـك المـدائن أم حجـر ** كـأن رمالهـا فـرش المهـادي
عـروس الـوادي لـم أخطـب سـواها ** ولـيس لدونـه أبـدا ودادي
علـى أحضـانها أمـم تآخـت ** وفـي أرجائهـا عظـم البـوادي

وهكذا فقد لجأ كثير من الشعراء التشاديين إلى الطبيعة لأنهم يجدون فيها ما يؤنس وحدتهم ويذهب أحزانهم فيتقاسمون معها المرارة والحلاوة لأنها جزء لا يتجزأ من حياتهم، ولعل من الواضح أن الميل نحو الطبيعة ومحاولة مناجاتها واستكناه كل ما يدور حول الشاعر أصبح نهجاً راسخاً عند أغلب الشعراء التشاديين، حيث يبثون عليها شكواهم كلما ضاقت بهم الحياة.

(ISSN: 2536 - 9555)

ومن المنابع التي يستقي ويبني الشاعر التشادي منها صوره عن واقعه الاجتماعي، الحقبة الاستعمارية المريرة التي رسخت أحداثها في أذهان التشاديين، فتناقلوها عبر عقود، وتوارثوها لفترات متتالية، انتهكت فيها كل القيم والمبادئ بتصرف المستعمر المشين في هذه المجتمع الذي اتسم بالطابع الإسلامي الأصيل الذي اكتست به الحياة في الممالك الإسلامية التشادية وغذته اللغة العربية التي كانت لغة التخاطب ولغة الإدارات ولغة الشارع والسوق، إلا أن المستعمر الفرنسي فرض هيمنته ولغته الدخيلة وثقافته المكشوفة التي لا يقرها دين ولا تهذبها قيم ولا تحكمها أخلاقيات، في هذه البيئة المحافظة، فأصبح الشاعر يعاني من كبت ظل ينخر في أعماقه طويلاً، فنقل إلينا هذه الأحداث بصور فنية تجسد مفردات الواقع وتحكي مغامرات أبطال صحوا من أجل فجر الحرية، فكانوا خير مرآة تعكس صور هذه الحياة التي تعيش فيها حضارة إسلامية عريقة وأخرى دخيلة تريد أن تلبي حاجاتها لتغير لون السماء من خضرتها الجميلة وتخلع من هذا المجتمع ذلك الرداء الفضفاض لتلبسه، رداءً آخر شفاف لا يكسي ولا يستر عورة، متخذين لهذا لغة تتناسب مع عقلية وثقافة هذا المجتمع وخيال غني يصور صوراً منتقاه من هذه البيئة بعاطفة قوية تنبع من وجدان أحرقه الكتمان وأنهكه الفرق الواهي، فانفجر كالبركان الثائر يتدفق في ثنايا قصائدهم بأسلوب سلس وألفاظ سهلة، تزينه وتجمله تلك الصور البيانية التي تجلو عتمة المواقف الصورة لتجعلها صورة واضحة.

فنجد الشاعر عبدالواحد حسن السنوسي يأتي بصورة جميلة عندما رأى أذيال المستعمر من بعده لم يبقوا للوطن شيئاً حيث خلفهم المستعمر لمواصلة مشوار السرقة والنهب وطمث الهوية الإسلامية، مما أنهك كاهل الوطن وأوصله مرحلة الشيخوخة فقال[٦].

وأرى بــلادي بلغــت شــيخوخة العمــر وأضــناها الصــمود
فالكل يأكل من بلادي عنوة ونهباً وسلباً من عهود وعهود
فكأنمـــا هـــي جثـــة ميتـــة فـــي قبرهـــا قـــد وســـدت
وكأنمـــــا أولادهـــــا مـــــن حولهـــــا ســـــوس ودود

[٦] عبد الواحد حسن السنوسي: قصيدة على كبنة، مخطوط بيد الباحث.

عجبـــاً لهـــم وبلادهـــم تشـــكو التقهقـــر والركـــود
لكـــــــــــنهم لا يفقهـــــــــــون القـــــــــول ...
إذ ليســـوا يجيـــدون ســـوى لغـــة التواكـــل والقعـــود

انتزع الشاعر هذه الصورة المعبرة صورة الشيخوخة، من جزيئات متعددة ليعيد هذا المشهد المريع فصور البلاد كالقصعة التي يتجاذبها الأكلة وسدت في القبر وحولها السوس والدود يأكل من ضلوعها وهي هامدة وصورة أخرى وهي الدولة التي أنهكها الصمود وأشاخها التعب والنهب والسرقة وأبناؤها الذين حولهم المستعمر إلى أعداء، يأكلون لحمها ويمتصون دمائها ويفتتون عظامها، فهذه صور متعددة الأطراف انتزعت من أجزاء متعددة لتكتمل في صورة تشبيه تمثيلي جميل مؤكداً حال هذه الجثة التي أكدها بكلمة ميتة؟ وهل هناك جثة حية؟ فالشاعر يعرف ذلك ولكن نظراً لعدم استجابتها وهي مرمية ينهشها، الكل أثبت هذه الصورة ليزيل الشك ويجلي الصورة في شكل بَيِّن.

ويطل علينا الشاعر عيسى عبد الله مرة أخرى برداءٍ آخر حيث يقول في قصيدة بعنوان فديتُ العيون[٧]:

ثـــوان ومـــدت إلـــى الهـــاتف ** يـــداً بضـــةً قلـــت بـــل ســـوّفي!
ســـأبقى شـــهوراً هنـــا كلمـــا ** حبـــاني زمـــاني بعـــذر يفـــي
فمـــا كـــان يُملـــي قـــدومي ســـوى ** محيّـــاك هـــذا ألـــم تعرفـــي؟
وكـــم لوحـــة شـــدت النـــاس مـــن ** ديـــارٍ تنـــاءت إلـــى المتحـــف
وتلـــك اصـــطناع وهـــذي دمٌ ** وروح أضـــاءت لمستكشـــف
وعينـــان مـــا فيهمـــا جنتـــي ** فقـــط، بـــل ونـــاري ومـــا قـــد خفـــي

قصيدة جميلة تبعث الوجدان وتحيي المشاعر بكلماتها المعبرة ومشاعرها الصادقة، فعيسى عبدالله أبدع في نتاجه الأدبي وذلك ناتج عن ثقافته الواسعة ومعرفته بفنون الأدب، يحسن التجربة الشعرية لأن فكرته دائماً أساس صدق تجربته والفكرة (هي دم

[٧] عيسى عبد الله ديوان حذوما قالت حذام ص ٢٣

(ISSN: 2536 - 9555)

الشعر ومن دونها تموت القصيدة)[٨]، إضافته إلى عاطفته المتأججة التي تكسوا أعماله الأدبية تأثيراً وقبولاً كما نلحظ في قوله:

بـــلادي جـــلال وســـحر حـــلال ** ومـــاء زلال وطـــرف كحيـــل
هـي الرمـز عنـدي ومعنـى المعـاني ** غنـــى فـــي ســـخاء وفقـــر نبيـــل

فهذا الوصف الموحي للطبيعة التي ألفها الشاعر تفوح منه العاطفة تنتشر في كل غصن من أغصان الحدائق ومع كل نسمة من نسائم وادي أزووم فقد وظف الشاعر هذا التجانس الذي يستميل مشاعر القارئ والسامع والمتلقي وهنا تظهر (قدرة النص الأدبي على استثارة عواطف القراء والمتلقين، بحيث توجد حالة من التوحد بين شعور المبدع وشعور المتلقي)[٩].

ولذلك نلحظ (بقاء أثر العاطفة في نفوس السامعين زمناً طويلاً)[١٠]،

زد عليها جمال وسحر هذه الطبيعة الخلابة.

ومن بين أوراق الطبيعة المورفة تشرق شمس الغزل في أفئدة العشاق كيف لا والحب مطية الشعراء وملهم قريحتهم فكتبت الكثير من القصائد الغزلية: لـ (أحمد عبدالرحمن سماعين)

يـــا مـــن تســـاءلني عـــن ســـر إســـعاد
وبهجـــــة مـــــلأت كـــــوني بإمـــــداد
إنـــي حظيـــت بـــذات الحســـن ســـيدتي
ســـلمى الحيـــاة لهـــا نســـكي وأورادي
تلـــك التـــي نســـخت آيـــي بنظرتهـــا
وشـــيدت هـــيكلاً: ذاتـــي وأوتـــادي
فـــإن هـــي ابتســـمت أضـــحي ببســـمتها

[٨] أساسيات الشعر وتقنياته: محمود قحطان، مؤسسة الأمة العربية، القاهرة– مصر، ط ١، ٢٠١٧م، ص (١٣٨).

[٩] التذوق الأدبي: ماهر شعبان عبد الباري، دار الفكر، عمّان– المملكة الأردنية الهاشمية، ط ٣، ٢٠١٣م، ص (١٦٠).

[١٠] في النقد الأدبي: عبد العزيز عتيق، مرجع سبق ذكره، ص (١١٣).

مثـــل الملـــوك يـــروم الكـــل إنجـــادي
أنـــت القصـــيدة فـــي قلبـــي تدغـــدغني
فمنـــك لحنـــي الشـــجي ينـــدا وإنشـــادي
قـــد أبطلـــت كـــل تـــاريخي بطلتهـــا
فيـــــوم طلتهـــــا إذ ذاك مـــــيلادي
ســـاءلتها فمتـــى يـــا حـــب موعـــدنا
فأومـــأ الطـــرف إذ أدركـــت ميعـــادي

والشاعر حسب الله مهدي فضله يغوص في أعماق المجتمع كاشفاً عن جوانبه الأخرى يتمشى في شوارع المدينة باحثاً عن الكادحين والذين التفتت عنهم الظروف متحدثاً بلسانهم يدخل البيوت المعوذة فيلاقي أرملة تصارع وعكة الأيام وبيدها طفل يسألها عن آثار خلفتها الأقدر ولا تجد له جواباً لأسئلته المتلاحقة، يكتب على لسان الأرملة وطفلها اليتيم والمعاناة التي يعيشونها في واقع متلاطم انعدمت فيه الرحمة قصيدة عبر فيها عن مرارة الجوع والفقد والحرمان عنوانها كفالة اليتيم يقول[١١]:

قـــال الصـــغيرُ ودمعُـــهُ مِـــدْرارُ: ** أمّـــاه، أشـــعر أننـــي أنهـــارُ
أُمَّـاهُ، هـذا الجـوعُ مَـزَّقَ بـاطني ** وسـرتْ بأحشـائي وقلبـي النـارُ
المـــاءَ أشْـــربُهُ؛ ليبـــرد غُلَّتـــي ** فكَأنَّمـــا تبْريـــدُهُ إســـعارُ
لـي ليلتـانِ ألـوكُ بعْـضَ " بَلِيلَـةٍ " ** قـد خالطَـتْ حَبَّاتِهـا الأحجـارُ
لا طَعْـمَ فيهـا، غيـرَ أَنَّ لِريحِهـا ** نَتْنـاً، وشـابَ مَـذَاقَها إمـرارُ
رِجْـلايَ خـانَتْنِي؛ فلَـيسَ تُقِلُّنـي ** فبَقِيـتُ مَأْسُـورا ولا أَسْـوارُ
هـاهمْ رفـاقي فـي الطريـق تواثَبـوا ** فـي خِفَّـةٍ، فكَـأنَّهُمْ أطيـارُ
للعيـد قـد لَبِسُـوا الجديـدَ وهلَّلُـوا ** بثيـابِهِمْ تَـتَلألأُ الأنْـوارُ
.. وحـدي بقيـت أنـا أُجَـرَّعُ غَصَّـةً ** فـي غَصَّـةٍ، وبِعَيْنِـيَ اسـتِعْبَارُ!
أمَّـاهُ، أيـن أبـي؟ فمـا حَلَّـتْ بِنـا ** – إذْ كـان يَعْمُـرُ بيْتَنَـا – أضـرارُ
أمـاه، أيـن أبـي؟ فمـا عـادتْ لنـا ** – مُـذْ غـابَ – منزلـة ولا إكبـارُ
أمـاه، أيـن أبـي؟ وأيـن حنانُـهُ؟ ** قـد كـان نَهْـراً دونـهُ الأنهـارُ

[١١] حسب الله مهدي فضله قصيدة كفالة اليتم ديوان نبضات أمتي ص ١٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

لا زلت أذكُرُ كَمْ حبوتُ لحِجْرِهِ ** فَتَلَقَّفَتْنِ يداهُ والأبصارُ
لا زلت أذكر كيف أضحى مركباً ** لي صدرُهُ، وبوجهِهِ استبشارُ
كم دغدغَتْ خَدّي يداهُ ومِلْؤُها ** حُبٌّ وعَطْفٌ غامِرٌ فوَّارُ
وكأنَّ في رأسِي نُعومةَ كَفِّه ** لم تمحُها الأيَّامُ والأعْصارُ
أماه، قولي أين سار؟ فإنني ** ماضٍ إليه؛ فقد جفتني الدارُ!
فتلجلجَتْ أمُّ الصبيِّ وأجهشَتْ ** تبكي وتنشجُ؛ هاجها التذكارُ
ضمتْهُ للصدر الضعيفِ وقلبُها ** في لوعةٍ، ودموعُها أنهارُ
قالتْ تُهَدِّئُهُ – وفِيها حاجةٌ ** لِمُهَدِّئٍ لو أنَّها تَخْتارُ –:
يا ابْني أبوكَ مع النجومِ مُحَلِّقٌ ** يرنُو إليكَ وكُلُّهُ أنظارُ
في العالَمِ العُلْوِيِّ يسكنُ منزلاً ** تشدوبِهِ وتُرَفْرِفُ الأطْيَارُ
مخْضَرَّةٌ أشجارُهُ، دفَّاقةٌ ** أنْهَارُهُ، سُكَّانُهُ أطْهَارُ.

والبيئة التشادية بيئة ملهمة تفيض بالشعراء ومجتمع متذوق للشعر منسجم معه لأن شعره يعبر عن آلامه وأحزانه وأفراحه وأتراحه يكشف عن معاناته فيتنفس الشعراء هذه التجارب الشعرية ويجمعونها بعد أن كانت شتاتاً مبعثرة هنا وهناك ليرسموا منها لوحة فنية راقية تسر الناظرين، وقد تناول الشعراء كل المواضيع والأغراض بشتى الاتجاهات الشعرية يغلب عليها شعر النكبات والكفاح ضد وطأة المستعمر والحديث عن الحرية المذيفة[١٢]: **(الشاعر أحمد عبدالرحمن سماعين)**

وأتى أغسطس الذي ترجونه ** هيا ارقصوا ودعوا أغسطس يزدري
ترجونه لتعانقوا حرية ** فمتى أغسطس كان عهد تحرري
حرية وتشاد تلطم خدها ** ما للعيال قلوبهم لا تنفري

ظهرت في أشعارهم صور المعاناة واليأس فعبروا عنها بحرارة وحرقة: (الشاعر عيسى عبدالله)

الموت أحياه آلاف الأحايين ** وما أتاني سوى يأسي يواسيني
والموت يأس أتى مستقصياً أمري ** لعله إن غلبت الموت يردينـي
أمست شهوري ظلاماً ليس يجلوها ** ضياء فجر فيا للأشهر الجون

[١٢] الشاعر أحمد عبدالرحمن سماعين قصيدة الحرية مخطوط بيد الباحث.

و(الشاعر حسب الله مهدي فضله) يلخص هذا الواقع المعنّى بآلامه وأحزانه بمشاعر متقدة يخاطب فيه الأمة وما أصابها من تشتت وضياع:

ضـياء فجـر فيـا للأشـهر الجـون ** أنـت عنـوان محنتـي وشـقائي
لا تفتـت قلبـي فحسـبي ** أنـي أمـة حولـت إلـى أشـلاء
لـم أكـن أعـرف البكـاء ولكـن ** علمتنـي مخـاذل الجبنـاء

بهذه العاطفة المتأججة التي تثور كالبركان في مخيلة الشاعر التشادي ليتنفسها شعراً ويخرج ما يكبت في وجدانه من ألم ومرارة وحرقة.

الشاعر محمود شريف يتلظى من نيران الشوق والحنين والذكريات الجميلة التي قضاها في صباه يعود بنا إلى أيام خلت ولكنها ما خلت في فؤاده الملتهب يسافر مع النجوم مرة، وتارة يركب الأمواج المتلاطمة، وأخرى يمشي حافيا على العباب لا يخشى الانزلاق ولا السقوط فهناك قوة يجسد متانتها شوق لا متناهي نحو **بورتسودان يقول:**

أَشْـعلْ صـباحَك شـمعُ الليـلِ محترقُ ** مسـافرُ الـنجمِ أعيـا هـدَّه الأرقُ
والشـمسُ تسـجدُ فـي الأمـواجِ هامتُهـا ** يُضْـفِي علـى محرابِهـا الشـفقُ
علـى الجبـالِ وقـارٌ مـن مهابتِـه ** وفـي العُبـابِ علـى إجلالِـهِ نـزقُ
عـنِ الجمـالِ جميـعُ الطـرقِ تائهـةٌ ** لقِبلـة الحسـنِ هـذي تهتـدي الطُـرُقُ
سـلِ السماءَ عـنِ الأقمـارِ مـا فعلـتْ ** والبحـرَ والشـمسُ فـي كـفِّ الضـحى
بَهَرْتَهـا فكـأنَّ البحـر لا صـدفٌ ** والليـلَ لا نُجُـمٌ والغصـنَ لا ورقُ
مـن خلفهـا يفـتح التـاريخُ نافـذةً ** علـى القـرون ومـا زال المـدى عبـقُ

ليعود محمود شريف مثقلاً بالأفكار معبراً عن معترك الحياة ولكنه جلد صلب يجابه المستحيل متمسك بالأمل قابض على زمام التفاؤل معتمد على الذات[١٣]:

أهُـشُّ الـنجمَ أم أرعـى السـحابا ** لعـلّ الصـبحَ يـوقِظ لـي إيابـا
وقفـتُ علـى طلـولِ الليـلِ رحلـي ** ليمنحنـي الشـروقَ فمـا أجابـا
تشـابهتِ المشـاهدُ لا أبـالي ** أمـسّ الأفـقَ أم أطـأ الترابـا
سـطورٌ نحـن فـي كـونٍ فسـيحٍ ** يؤلّـفُ مـن حوادثنـا الكتابـا
تركـت المـاءَ خلفـي وهـو صـفو ** أحـثُّ خطـاي كـي أصـل السـرابا

[١٣] وجوه لا تعكسها المرايا: محمود شريف محمد نور، مرجع سبق ذكره، ص(١٩).

(ISSN: 2536 - 9555)

هكذا فجر الشاعر التشادي تجربته الشعرية معبراً عن بيئته كاشفاً عن جوانبها المضيئة والمظلمة، اليائسة والحالمة، ينثر أحرف الضاد عقداً ثميناً، وأملاً وارفاً، وبهذا نستطيع القول إن الشعراء في تشاد ارتقوا بتجاربهم الشعرية فقدموا صوراً بديعة ومعان عميقة وتشكيلاً فنياً راقياً، ومما يتميز به نتاجهم صدق التجربة، وصفاء العبارات، ولغة اشتقت من رحم معاناة الأمة وآلامها، فكانت نصوصهم بحق رسالة قوية، ومرآة تعكس واقع المجتمع، بما فيه ومن فيه.

كما برز في ساحتنا التشادية جيل صاعد واعد، يوحي بمستقبل مشرق في نسج حرف الضاد بمشاعر دفاقة، تحرك العواطف والأحاسيس، ترتقي لمستوى عالٍ من البنية الفنية والأسلوبية في النتاج الذي حصدته الساحة تتجلى فيه الحداثة الرمزية وما يميز الشاعر جبريل عن غيره من أقران عصره ألاظه المفعمة بالعاطفة تزين نصه لأن الألفاظ هي اللبنة الأولى من لبنات البناء الداخلي للنص، فهي التركيب ومحور حساسيته[١٤] لذلك أبدع في نسج وجدانه كلمات جميلة مؤثرة وهنا يستلهم التاريخ وبنكهة حداثية ونبرة صوفية[١٥]:

قـــد أذن التـــاريخ كـــي نتســـامى
أقـــم الصـــلاة فعرســـنا قـــد قـــام
أقـــم الصـــلاة مبشـــراً بقصـــيدة
واتلـــوا علـــى الجمـــع الكـــريم ســـلاما
قـــد شـــع مـــن قبـــل اللقـــاء مقامنـــا
شـــهباً تُســـطر بالســـنا أعوامـــا
فـــأتى المريـــد مـــرداً أنغامـــا
قبـــل البدايـــة لا يريـــد ختامـــا
فلأننـــا روح الجمـــال فبشـــروا
إن الحبيـــب علـــى الحبيـــب ترامـــى

[١٤] النقد الأدبي ومصادره في كتاب الموشح للمرزباني:سعاد بن فريح الثقفي، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد الأدبي) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م، ص(٩٤).

[١٥] جبريل ادم جبريل قصيدة أقم الصلاة مخطوط بيد الباحث

وهذه السمة التجديدية التي يؤصل لها الجيل الجديد يصبغها بالواقع الذي تفتحت فيه هذه المواجع، وصدى الأحداث المتلاحقة حيث أصبح الصبح ولم يجد هذا الجيل متكأ يتكئ عليه بل أصبح يواجه تحديات الحياة لوحدة، وهناك يشرح لنا الشاعر جبريل هذه المعاناة التي خلفت جروحاً دامية لهذا الجيل في قصيدة أسماها (الموحشون)

نِـــدَاءُ الْحُـــبِّ يَسْـــتَبِقُ الظُّرُوفـــا
وَكَـــفُّ الـــدَّهْرِ تَصْـــفَعُنَا كُفُوفـــا

عَلِمْنَـــا أَنَّنَـــا لِلْحُـــزْنِ جِئْنَـــا
وَآخَتْنَـــا مَآسِـــينَا نَزِيفـــا

إِذَا آمَالُنَـــا فَتَحَـــتْ طَرِيقًـــا
يَمُـــرُّ عَلَيْـــهِ وَاحِـــدُنَا عُيُوفـــا

لأَنَّ النَّـــاسَ غَـــايَتُهُمْ نَـــوَالٌ
وَغَـــابَ نَـــوَالُ حَضْـــرَتِنَا عَفِيفـــا

إِذَا فَتَحُـــوا مَـــزَادًا مِـــنْ فَخَـــارٍ
نَـــرَاهُ عَلَـــى مَوَائِـــدِنَا سَـــخِيفا

وَنَحْـــنُ الْمُوحَشُـــونَ بِكُـــلِّ بَيْـــتٍ
إِذَا لَـــمْ نَلْـــقَ فِيـــهِ أَخًـــا عَطُوفـــا

فَـــإِنْ جَـــادَ الزَّمَـــانُ لَنَـــا بَعِيـــدٍ
يَمُـــرُّ عَلَـــى أَمَاسِـــينَا خَفِيفـــا

وَتَجْتَمِـــعُ الْمَوَاجِـــعُ مُوحِشَـــاتٍ
عَلَـــى عَتَبَـــاتِ لَحْظَتِنَـــا صُـــفُوفا

(ISSN: 2536 - 9555)

يَمُـــوتُ بِنَـــا الْكَـــلَامُ وَكُـــلُّ وَجْـــهٍ
تَـــرَاهُ عَلَـــى تَبَسُّـــمِهِ مُخِيفـــا

أما الحداثة الرمزية فتتجلى سماتها في شعر هذه الطبقة وتظهر ملامحها في ثنايا قصائد شعراء عصبة رواد الإبداع ويطالعنا الشاعر إبراهيم عبدالكريم محمد في قصيدة التي تحمل عنوان[١٦]:

(تُقُوبٌ فِي ظِلَالِ الرِّيح) تبدو الحداثة جلية من خلال العنوان والمطلع تأثيراً بالشعر الحداثي أو القصيدة النثرية الحديثة يقول:

كَـــــــــــــــالْغَيْمِ أَسْـــــــــــــــبَحُ
فِـــــــــى فَضَـــــــــاءِ الْلَاوُجُـــــــــودِ
لِأَيِّ شَـــــــــيْءٍ غَيْـــــــــرَ رُوحِـــــــــي
حَـــــــــامِلاً سِـــــــــرَّ الْخُلُـــــــــودِ
لِكَـــــــيْ أُوَازِي ذَاتِـــــــيَ الْأُخْـــــــرَى الَّتِـــــــي
صَـــــــــــــــارَتْ ضَـــــــــــــــبَاباً
يَخْتَفِـــــــي فِـــــــي دَوْلَـــــــةِ الْمَلَكُـــــــوتِ
مِـــــــن خَلْـــــــفِ الْحِجَـــــــاب.
أَأَطْـــــــوِي سَـــــــمَاوَاتِ الْأَسَـــــــى
وَأَتِيـــــهُ فِـــــي بَهْـــــوِ السَّـــــوَادِ السَّـــــرْمَدِيّ
عَلَـــــــى مَجَـــــــادِفَ عُزْلَتِـــــــي،
يَقْتَـــــاتُنِي هَـــــمُّ النُّبُـــــوَّةِ عِنـــــدَمَا
يَـــــــأْتِي لِـــــــيَ النَّـــــــامُوسُ
بِـــــــــــــــالْوَحْيِ الْعَجِيـــــــــــــــبِ
يَرُجُّنِـــــــــي كَالْمَـــــــــاءِ فِـــــــــي
كَـــــــــــــــوْبِ الشَّـــــــــــــــرَاب.
أَمْحُـــــو خُطَـــــايَ إِذَا مَشَـــــيْتُ عَلَـــــى

[١٦] إبراهيم عبدالكريم محمد قصيدة تُقُوبٌ فِي ظِلَالِ الرِّيح مخطوط بيد الباحث.

السَّـــــدِيمِ أَخِـــــيطُ دَرْبـــــاً مِـــــن سَـــــلَالِمَ
أَعْتَلِـــــــــي عَـــــــــرْشَ الْجَمَـــــــــالِ
وَأَنتِـــــفُ الشَّـــــيْبَ الَّـــــذِي مَـــــازَالَ يَسْـــــكُنُ
فَـــــوْقَ رَأْسِ الشَّـــــمْسِ كَـــــيْ لَا يَـــــدَّعِي
الْمَعْتُـــــــــوهُ أَنَّ الشَّـــــــــمْسَ خُنثَـــــــــى،
وَهْـــــــيَ أُنْثَـــــــى فِـــــــي الْكِتَـــــــاب

لكن الشاعر عبدالرحيم إمام من خريجي هذه المدرسة يجيد رسم الفكرة ودائما لشعره طعم خاص ولأنها دم الشعر ومن دونها تموت القصيدة[١٧] ركز أمام في الأساسيات فبنى نصه قائما مع إنه من نفس التيار التجديدي التشادي استلهم من الواقع نغمة إلهام لتجربته الشعرية ولم يشتق لبشاي كما اشتاق إليها الشاعر أحمد عبد الرحمن إسماعيل ولم يشتق لحبيبة طال هجرها وغاب ثغرها بل اشتاق لقهوته التي يعشقها وتعشقه وفرق رمضان بينهما فعادا واجتمعا وتغازلا بهذه الأحرف الجميلة فعنون قصيدته ب البن[١٨]

(رمضـــانُ وَلَّـــى هَاتِهَـــا يـــا ســـاقي ** مُشـــتاقةٌ تســـعى إلـــى مُشـــتاقِ)
لا مِثلمـــا قَصَـــدَ الأميـــرُ وَإنمـــا ** لِهَـــوى النفـــوسِ تَـــوَارُدٌ وَتَلاقـــي
هِـــيَ قهـــوةٌ هـــي رَشْـــفةٌ هِـــي قفـــزةٌ ** هِـيَ عـالٌ أم يُفضـي إلـى الآفـاقِ
هِـــي حُلـــوةٌ هِـــيَ مُـــرةٌ هِـــي ســـكرٌ ** هِـيَ حنظـلٌ هِـي بَلسَـمُ الأعمـاق
لَمَّـــا أتـــى رمضـــانُ رُمـــتُ طَلاقَهـــا ** وَلَقد مَضى فَرجَعتُ عن إطْلاقي
وَأتيـــتُ مثـــلَ العاشـــقِ الولهـــانِ مِـــن ** تَعَـــبِ الصـــيامِ أَبُثُّهـــا أشـــواقي
حســـناءَ تَرشُـــفُها إذا مـــا شـــئت مـــن ** حســـناء قهوتُهـــا مـــن الأحـــداق
سَـرقَتْ جَمـالَ الـبُنِّ حتـى أصـبحتْ ** بُنيَّـــــــةَ الأحـــــــداق وَالأذواقِ
فَـــرعٌ تَمايَـــلَ حـــين أقبـــلَ نحونـــا ** مِـــن روضـــةٍ مُخْضَـــرَّةِ الأوراقِ
مَـــدَّتْ ســـحاباً كـــي تُكَشِّـــفَ لَيْلَهـــا ** وَتَبسَـــمَتْ فانجـــابَ بالإشـــراقِ
حَبَشـــيةٌ لـــو قِيـــلَ هـــذا وجْهُهَـــا ** لَرأيـتَ بـدراً فـي الظهيـرةِ بـاقي

[١٧] أساسيات الشعر وتقنياته: محمود قحطان، مؤسسة الأمة العربية، القاهرة–مصر، ط ١، ٢٠١٧م، ص (١٣٨).

[١٨] عبدالرحيم إمام قصيدة البن مخطوط بيد الباحث

(ISSN: 2536 - 9555)

تَسـقيكَ قبـل الـبُنِّ طيـبَ كلامِهـا ** وَالـبُنُّ دُونَ الطيـبِ دونَ مـذاقِي
وَيَصُـبُّ دُرًّا ثغرُهـا الـدُريُّ فـي ** لَحْـنِ الطيـور وَهَـزَّةِ المشـتاقِ
لـيس المُهِـمُّ بـأن نُحِـسَّ كلامَهـا ** تغنينـا موسـيقى عـن الإنطـاق
لَمَّـا أتـت بـالبُنِّ قالـت هَيْـتَ لَـكْ ** بُنَّـاً مُدخَّنـةً بِمِسْـكٍ راقـي
فَشَـربتُها والكـأسُ منـي لـم تَـزلْ ** فَـوَدِدْتُّ لـو ثَنيـتُ بالتريـاقِ
وَشَـربتُ أخـرى بالعنـاق مُثلّثـاً ** وَشـربتُ رابعـةً بغيـرِ عِنـاقِ
يـا قهـوةً مُزِجَـتْ بحبـلِ مَشـيمَتي ** فَخَرجـتُ أبحـثُ عـن مَزيجـي
لوكـان حُكمُـكِ فـي الكتـاب مُحرمـاً ** لَعُدِدْتِّ مَعصيتي على الإطـلاق

واستمرت الحداثة على السير قدماً في هذا الطريق الذي عبدته لها الحداثة وروضته لها الاتجاهات المعاصرة فكشف شعراء هذا الجيل جانب التأثر بالمدارس الأدبية الحديثة، وعبروا عما يحسون به بلغة وأسلوب عصرهم.

الخاتمة

من خلال هذا المسيرة في ساحتنا الأدبية التشادية جيل صاعد يبشر بخير، ويوحي بمستقبل مشرق في نسج حروف الضاد مشاعر دفاقة، تحرك العواطف والأحاسيس، كشف عن واقعنا بصورة أدبية مشرقة، وعكس ما يعيشه هذا الواقع المتلاطم، بشتى ألوانه وبيئاته، ارتقت تجربته الأدبية لمستوى عالٍ من البنية الفنية والخصائص الأسلوبية من خلال النتاج أنتجته قريحته وحصدته الساحة كغذاء روحي لها لا سيما الشعر.

أما النثر فمازال في طور النشوء، يحتاج إلى نضج، رغم توفر المادة الخام التي تغذيه ويفتقر إلى الكثير من البهارات التي تحسن جودته كما يحتاج إلى توجه نقدي يقيم الإنتاج ويقومه ليتخذ أحدث الاتجاهات الحديثة في طرق الإنتاج، ووسائل التعبير المستخدمة في عوالم الرواية والقصة والمقال، من عقول المتذوقين عشاق العمل النثري، فهذه البداية التي شهدتها الساحة لبعض الروايات التي بدأت مستبقة لأوانها التي ظهرت بثوب التحرر والإثارة، تأثرا بالبيئات النثرية الغربية المنفتحة، ففي ساحتنا بعض الروائيين– رغم الموهبة– تنقصهم الثقافة الأدبية، التي شغلتهم عنها معتركات الحياة وظروفها القاسية، نعم هناك جهد مقدر يغذيه الاطلاع والشغف لكن بحاجة إلى وعي

بمرامي الفن ومعرفة أبجديات الكتابة الأدبية بحسب نوع المادة، فتجربة العمل النثري ليست كتجربة الشعر للنثر.

هناك عناصر يجب أن تتوافر قبل الشروع في بسط الأفكار وترجمتها إلى عمل فني، وهي جزء من خطة الكتابة ولون من ألوان العمل الأدبي مثل اختيار الألفاظ، ومناسبتها للبيئة التي يولد فيها العمل الأدبي، الحبكة الجمالية، النحت الجمالي، تناسق الأحداث، اختيار الشخصيات المناسبة للدور، تميز الأسلوب واختيار الألفاظ المؤدية للمعنى النثري، لأن الألفاظ نفسها جزءً من المعالجة وتساعد في إيصال الرسالة التي يصبو إليها الأديب لأن الأدب رسالة ويجب أن تصل بسرعة كي تعالج وحتى تعالج بحاجة إلى إقناع، والإقناع يجب أن يؤثر ولا يمكن للتأثير أن يحدث مالم تتلاءم الوحدات اللفظية وبيئة المكان، فتارة يريد الأديب أن يحل قضية ولكن دون قصد منه يصبح جزءً منها ويعقدها، ونعلم جيداً أن الأدب مرآة الواقع يكشف جوانبه الخفية والظاهرة، الحاضرة والغائبة المقبولة والمرفوضة، يمتزج فيها الحِسّي بالمَرْئِيّ بالمَلْمُوس تحت ظلال الموهبة ومعطيات المادة المتوفرة يخضع لأسس ومعايير ترتب نظمه، وتساعد في خلقه لتصبح ثماره دانية، ومع ذلك هي بداية نشجعهم على الاستمرار فيها مع صقل المواهب والاطلاع إلى كتب النقد والاستفادة من الأساتذة المتخصصين الذين يوجهون في هذا المجال، لأن النموذج الذي تتحدث عنه الساحة عن التحررية في بعض الروايات والقصص ما هو إلا وصف لقضية واقعة ومعروفة في هذا المجتمع، لكن طريقة المعالجة تحتاج إلى إخراج آخر وأسلوب يقرب الحالة إلى الأذهان برؤية مختلفة مع انتقاء بعض الألفاظ، واستبدالها برموز غير مباشرة بشيء من الاستعارات والكنايات، لتوليد معنى يناسب واقع المجتمع الأخلاقي ويحبك بصورة سردية توحي بدلالات غير مباشرة تستلهم من التورية التي تستجلب لهذا الغرض، لأن العمل الروائي هو اللسان الذي يعبر عن واقعنا ويكشف تفاصيل عاداتنا المجتمعية المنبثقة عن هويتنا وثقافاتنا بصورة أدبية نثرية تصل إلى الهدف دون وسيط، ولأن الجانب النثري من الأدب هو الحلقة المفقودة في عالمنا الأدبي التشادي، لكن هذا لا يعفي الكتاب عن تجاهل بعض الفنيات الضرورية في كتابة العمل الأدبي، لكن دون أدنى شك هناك جهود مقدرة من شبابنا الساطع تحتاج إلى تشجيع وتحفيز واكتشاف المواهب المختفية.

(ISSN: 2536 - 9555)

المصادر والمراجع

- عيسى عبد الله ديوان حذوما قالت حذام.
- أحمد عبدالرحمن سماعين قصيدة الحرية مخطوط بيد الباحث.
- حسب الله مهدي فضله قصيدة كفالة اليتم ديوان نبضات أمتي.
- محمود شريف محمد نور، ديوان وجوه لا تعكسها المرايا.
- عبد الواحد حسن السنوسي: قصيدة على كبنة، مخطوط بيد الباحث.
- جبريل آدم جبريل قصيدة أقم الصلاة مخطوط بيد الباحث.
- عبدالرحيم إمام قصيدة البن مخطوط بيد الباحث.
- إبراهيم عبدالكريم محمد قصيدة ثُقُوبٌ فِي ظِلَالِ الرِّيح مخطوط بيد الباحث.
- صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، دار النشر، فزانزشتاير، ط٢، ١٩٨٢م، ج٦.
- عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، ١٩٧٢م.
- عبد الله حمدنا الله، محاضرات في الأدب التشادي للفرقة الرابعة، جامعة أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٠– ٢٠٠١م،
- التذوق الأدبي ماهر شعبان عبدالباري، دار الفكر، عمّان– المملكة الأردنية الهاشمية، ط ٣، ٢٠١٣م.
- محمود قحطان، أساسيات الشعر وتقنياته مؤسسة الأمة العربية، القاهرة–مصر، ط ١، ٢٠١٧م.
- المرزباني: سعاد بن فريح الثقفي، النقد الأدبي ومصادره في كتاب الموشح لـ(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد الأدبي) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.